المغرب العربي أم شمال أفريقيا ؟

صلاح المختار

كل بقعة من العالم خصوصا ذات القيمة الاستراتيجية تتعرض بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لتغييرات جوهرية حتى في التسميات ، ولئن طرح فرانسيس فوكوياما المفكر الأمريكي فكرة ساذجة كما وصفناها عند طرحها مباشرة عن (نهاية التاريخ وانتصار الليبرالية الامريكية) ، لكنها كانت صحيحة في جانب منها وهو التسميات والجهد الاستراتيجي الأمريكي المدعوم صهيونياً لتغيير الأسماء وفرضها وفقا لما ساد في حقبة الاستعمار الأوربي من تسميات كانت (المركزية الاوربية) فرضتها على العالم كجزء من خطط أعم إلا أن نضال حركات التحرر الوطني كنسها وألقاها في مزابل التاريخ ونحت أو أعاد التسميات الصحيحة المنسجمة مع واقع الأمم الثائرة .

والآن الاستعمار الغربي أخذ يعود إلى مزابل التاريخ ليستخرج منها تسميات ماتت ويريد إحياءها ومنها مصطلح (شمال أفريقيا) والذي يريد فرضه محل الاسم الطبيعي وهو المغرب العربي .

ابتدع الاستعمار الأوربي خصوصاً البريطاني والفرنسي تسميات زرع فيها أهدافه الاستراتيجية ومنها مصطلح (الشرق الأوسط) و(الشرق الأدنى) و(شمال أفريقيا) والتي أراد إحلالها محل التسميات التاريخية وهي الوطن العربي والأمة العربية والمشرق العربي والمغرب العربي والتي تركت مياسيمها على العالم في القرون الوسطى بتحول بغداد ودمشق إلى عاصمتين للعالم في العهد العباسي والعهد الأموي ومنها تحول الأندلس إلى منارة أوربا في فترة سيادة العرب وتأكيد هويتهم القومية عالمياً

وإقليمياً ، من مزابل التاريخ انتقى الاستعمار الأوربي تسميات وأراد فرض حدود على الوطن العربي بعد انهياره ووقوعه تحت سلطة التخلف والتشرذم ومنها تسمية (شمال افريقيا) والتي كانت التسمية الرسمية في قاموس الاستعمار لوصف الأقطار العربية في المغرب العربي والذي تعرض بحكم مجاورته لأوربا لمحاولات محو هويته العربية وإحلال هويات فرعية سابقة على هوية الأمة العربية الواحدة خصوصاً وأن الفرسنة في المغرب العربي لم تقتصر على تغيير اللغة واستبدال العربية بالفرنسية بل تعداها ، وهنا مكمن الخطر الأكبر ، إلى إيقاظ ودعم الهويات السابقة للهوية العربية والتي ظهرت قبل آلاف السنين وليس مئات السنين ، من جهة وإلى تزوير هوية السكان الأصليين للمغرب العربي الذين عاشوا فيه قبل الفتح الإسلامي بقرون وآلاف السنين مثل الأمازيغ ومحاولة نفي صلتهم بأصلهم التكويني العربي اليمني من جهة ثانية ، فماذا جرى حقاً ؟ ، وما الذي يجري منذ انهيار الاتحاد السوفيتي في الوطن العربي تحديداً ؟ .

١. أبرز ما يلاحظ هو الجهد الاستعماري الواضح جداً لابتداع هويات يراد لها قسراً أن تكون متعارضة مع العروبة مع أنها ليست كذلك مثل الأمازيغية في المغرب العربي وهي خطة تبنتها فرنسا وبدعم صهيوني كبير .

٢. التناقض الفاضح في خطة الغرب يبدو جلياً عندما نلاحظ أنه في الوقت الذي يدعم هويات اصطناعية ويحاول فرضها بالقوة مثل الهوية الأمريكية الأكثر زيفاً وبعداً عن واقع الحال والتي لم تتبلور بعد بشكل هوية ، والصهيونية وكيانها الذي فرضته بريطانيا وقوى الاستعمار الغربي ، فإنه عمل على تشويه التاريخ الحقيقي لأجل طمر الصلات العضوية

بين العروبة وفروعها المغاربية الأصيلة ومنها الأمازيغية لمنع قيام كيان عربي واحد كبير يمتد من موريتانيا إلى اليمن وهو كيان لو انبثق سيحدث تغييرات استراتيجية جوهرية ويفسد مخططات استعمارية وصهيونية محور جهدها هو غزو الأقطار العربية بكل ما تعنيه كلمة الغزو من معان متعددة اقتصادية وعسكرية وثقافية .

٣. أبرز المفارقات هي أن الغرب يدعم ويحرض الأقليات التي عاشت في الوطن العربي بحرية وسلام على التمرد مثل الأقليات القومية والدينية والطائفية ويعمل على تحويلها إلى كيانات سياسية مستقلة أي دول رغم أنها لا تملك مقومات الكيان السياسي ، وهو ما نلاحظه الآن بوضح كامل في العراق وسوريا ، بينما يبذل جهداً جوهرياً لتفتيت الأمة الأصيلة والأقطار التابعة لها رغم أنها أصيلة وطبيعية كالأمة العربية والتي تتكون من دول معترف بها وتستند على مقومات طبيعية متكاملة . وهذا التناقض بين عمليتين إحداها زائفة يراد لها أن تكون طبيعية وأخرى طبيعية يراد تزييفها ، يكشف حتى الجذور الأهداف الحقيقية لكافة طروحات الغرب والصهيونية تحت أغطية التسميات والكيانات.

٤. الغرب في الوقت الذي يدعم انفصال الأقليات في الوطن العربي ويغذي تمردها على وطنها فإنه يحرم الأقليات فيه من حق تقرير المصير بل يمنعها من اعتبار لغاتها مستقلة عن اللغات الأوربية السائدة ومن المحرومين من الحقوق الباسك والكتالونيين في فرنسا وإسبانيا والاسكتلنديين في بريطانيا ، وتشترط كافة دول أوربا وأمريكا إتقان لغاتها الوطنية كشرط لمنح الجنسية بينما يهاجم العرب إذا أرادوا تنمية لغتهم وثقافتهم ، وهذا

التناقض يكشف الغاية الاستعمارية من دعم الأقليات في الوطن العربي وهي تفتيت الأقطار العربية وإضعافها ومنع توحدها وتقدمها .

٥. مكونات ما قبل الأمة اندثرت قبل مئات السنين في الوطن العربي وساد مفهوم الأمة العربية الحضاري والذي يعني ، وقبل كل شيء ، أن الأمة ليست مفهوماً عنصرياً وإنما هو مفهوم حضاري ثقافي يختار الإنسان فيه هويته بحرية ويغرسها في وعيه وثقافته عبر أجيال وقرون والفيات حتى تصبح هويته راسخة وتزول هويته القديمة ، لهذا نرى العربي أسمراً وأسوداً وأبيضاً في تأكيد لا يقبل الشك على أن مفهوم العروبة مفهوماً حضارياً وليس عنصرياً .

من هنا فإن إثارة الغرب والصهيونية لقضية هويات ما قبل العروبة في الوطن العربي عموماً والمغرب العربي خصوصاً ليست أكثر من جزء رئيس من خطة تدمير الهوية العربية لأجل تمكين الهوية الاستعمارية الصهيونية من السيطرة والتوسع على حساب العرب الذين خطط لإضعافهم عبر شرذمتهم عنصرياً وطائفياً وبث الصراعات المصطنعة بينهم ، إضافة للأهداف الاستعمارية الغربية التقليدية .

٦. أن أهم ملاحظة هنا هي أن خطة التعريب في المغرب العربي والتي بدأت في الخمسينيات من القرن الماضي مع انتصار الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي لم تكن عملية إزالة لهوية وطنية سابقة على العربية بل استعادة للهوية الوطنية التي أراد الاستعمار الفرنسي

محوها بفرض اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية على شعب عربي مسلم بالقوة والإرهاب ، فهي عودة للأصول وليس شق طريق جديد مناقض لأصل الهوية المغاربية .

٧. الحقائق التاريخية واللُّقيات الاثارية والمقارنات اللغوية تثبت بأن الأمازيغ أصولهم يمنية عربية وأنهم ثمرة هجرات ما قبل الإسلام بفترات طويلة وهو ما اعترف به رموز الأمازيغية ومفكريها الكبار مثل المغربي محمد عابد الجابري الذي قال مباشرة وبصورة بالغة الوضوح في مؤتمر علمي في اليمن (جئتكم من المغرب أمازيغي أصله اليمن) وعثمان سعدي الجزائري وهو أمازيغي أيضاً الذي ألف كتاباً وأعد بحوثاً اثبت فيها عروبة الأمازيغ ، وهذه الحقائق تدحض النظريات الاستعمارية الأوربية الصهيونية التي تقيم دعوتها لتقسيم المغرب العربي وإنكار عروبته على أساس أنه أمازيغي وليس عربياً .

٨. الملاحظة الجوهرية التي لابد من الانتباه اليها هي أن مصطلح (شمال أفريقيا) لا يعبر عن هوية بل عن منطقة جغرافية فقط ، وعندما نستخدم المقاييس الجغرافية لوصف منطقة ما فإننا نهتم أولاً وقبل كل شيء بالمكان وليس بالسكان وبالهوية ، والمكان يخفي الهويات إذا اقتصر الأمر على التركيز عليه فقط ، وهنا مكمن الهدف الاستعماري من استخدام تسمية شمال أفريقيا والشرق الأوسط والشرق الأدنى ، فالمطلوب هو إنكار هوية الشعب العربي الساكن لهذه المكان الجغرافي أو التعتيم عليها أو حتى إنكار وجوده ! ، لهذا فحينما نقول شمال أفريقيا نزرع ، أو للدقة ، نعيد زرع فكرة استعمارية وهي أن المكان المقصود بلا هوية جامعة تستحق الدفاع عنها فتمر عملية التعتيم وتسهل مهمة الاستعمار في دعم

هويات زائفة تثير الصراعات الدموية وتمهد لتقسيم الوطن وإنكار ما يوجد فعلاً في المكان الجغرافي من هويات حركية وفعالة ، وهذا ما لجأ إليه (وعد بلفور) في تقديم فلسطين لليهود بقوله (أن فلسطين أرض بلا شعب واليهود شعب بلا أرض) مع أن الأرض أو المكان كان مزدحماً بسكانه العرب لكن الاستعمار تجاهل الواقع لأجل تحقيق أهداف استعمارية ، وإلا ، لِمَ مثلاً لم يسمي المؤرخون الأوربيون اسكندنافيا بـ (شمال أوربا) على غرار (شمال أفريقي) وأصروا على وصفها بمصطلح اسكندنافيا ؟ ، وهذا ينطبق على جنوب أوربا فلم يستخدم المكان بدل تسميات الأمم الأوربية التي سكنته ، وهذه الحقيقة تقدم المزيد من حقائق المنطق والواقع التي تكشف الدافع الاستعماري وراء التسميات .

عندما تكون مني فأنت لست مكاناً جغرافياً فقط بل أنت هوية أولاً وقبل كل شيء ، أما عندما تكون عدوي أو هدفي في الاستعمار فأنا أُجردك من الهوية الإنسانية وتصبح مجرد مكان بلا هوية محددة وواضحة المعالم كي تسهل عملية استعمار مكان بلا سكان أو هوية.

٩. معركتنا الآن من أجل حماية الهوية القومية العربية ليست في العراق وسوريا واليمن وليبيا والسودان فقط بل هي شاملة لكل قطر عربي وإن كانت تتخذ أشكالاً أولية مختلفة لكن عندما تتطور الخطط المعادية تظهر السمات المشتركة لكافة أزماتنا وكوارثنا ، والمغرب العربي يتعرض لبدايات الكوارث وإحدى أهم مقدمات الكارثة هي تغيير التسميات الأصلية المطابقة لواقع الهوية الفعلية وإنكار وجود هوية عامة وتشجيع الكيانات الزائفة ، وحينما يتم ذلك تبدأ الخطوة التالية وهي إشعال الحرائق وإنشاء بحيرات الدم ! اليس هذا

بسم الله الرحمن الرحيم

ما حصل في العراق وسوريا حيث بدء الجهد الاستعماري بزرع بذور الكوارث منذ عقود ونميت تلك البذور كي تصل مرحلة الإثمار لكوارثنا الحالية ؟ ، ما لم نحافظ على هوية المغرب العربي الأصلية وهي هوية حضارية وليس عنصرية فإننا نتقدم بثبات نحو كوارث لا تقل خطورة عن كوارث العراق وسوريا واليمن وليبيا . وأول خطوات حماية المغرب العربي من كوارث التشرذم هي التمسك بتسميته الأصلية : المغرب العربي ، ورفض تسمية المكان لأنها تفضي لإلغاء وجود الإنسان ، ولنتذكر أن هوية المكان يحددها الإنسان الساكن فيه .

Almukhtar44@gmail.com
25-4-2017